رحمة النبي
صلى اللّه عليه وسلم بالأسارى

إعداد

د. محمد إبراهيم الشربيني صقر

كلية بهانج الإسلامية السلطان أحمد شاه بماليزيا

KIPSAS

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وإمام المجاهدين محمد صلى الله عليه وسلم ورضى الله عن الصحابة الأطهار، الأبرار، ورضي الله عن التابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فقد أرسل الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وجمع في شخصيته العظيمة الكمال البشري؛ فتألقت روحه الطاهرة بعظيم الشمائل والخصال الكريمة، ومن هذه الصفات الكريمة، خلق الرحمة، فقد كان صلى الله عليه وسلم ذا قلب رحيم، بزوجاته، وأولاده، وأصحابه، وقومه وعشيرته، وشملت رحمته غير المسلمين، وخاصة الأسارى منهم، وفي الوقت الذي كانت فيه الحروب في الجاهلية لا تعرف أخلاقيات الحرب، ظهرت رحمته صلى الله عليه وسلم في هذا الميدان، لتشرع للعالمين تصورا شاملا للتعامل مع الأسارى على أساس الرحمة والرأفة والعدل.

وفي هذا العصر الذي كثرت فيه الإساءة إلى الأسير، وعدم احترام المواثيق الدولية، ممن يدعون المحافظة على حقوق الإنسان، ويرفعون شعارات الحرية والإنسانية، نبرز في هذا البحث تفوق نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم ، وسبقه هذه القوانين الدولية، في تقرير حقوق وضمانات الأسير والرحمة به.

والهدف من هذا البحث:

التعريف بمصطلحي: الرحمة، والأسير، ومدلولاتهما اللغوية والاصطلاحية، وإبراز رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسارى، والتعامل الكريم معهم.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة المتواضعة على: المنهج التاريخي النقلي، وعلى المنهج التحليلي المتمثل في عرض ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من رحمته بالأسارى، والرجوع في ذلك إلى المصادر الصحيحة المعتمدة وتحليلها وتوجيهها.

وتشتمل خطة البحث على:

مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر

التمهيد يشتمل على التعريف بالمصطلحين الآتيين:

أولا: التعريف بمصطلح الرحمة في اللغة والاصطلاح.

ثانيا: التعريف بمصطلح الأسير في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسارى، وقبول الفداء منهم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم والأسارى وعفوه عنهم

1. رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى بني المصطلق وعفوه عنهم
2. رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى الحديبية وعفوه عنهم
3. رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى مكة وعفوه عنهم
4. رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى هوازن وعفوه عنهم
5. رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأبي العاص بن الربيع رضي الله عنه وعفوه عنه
6. رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بثمامة بن أثال رضي الله عنه وعفوه عنه

المطلب الثاني: رحمته صلى الله عليه وسلم بقبوله الفداء من الأسارى

المبحث الثاني: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأسرى وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إكرام النبي صلى الله عليه وسلم للأسرى

المطلب الثاني: رفق النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى وعدم إيذائهم

ثم الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، ثم فهرس للمراجع والمصادر.

الله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يحشرنا مع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته الأطهار الأبرار.

التمهيد

قبل الحديث عن مبحث رحمة النبي صلى الله عليه وسلم عن الأسارى وقبول الفداء منهم: كان لزاما علينا أن نلقي الضوء حول مصطلحي: الرحمة، والأسير في اللغة، ثم ننتقل إلى المعنى الاصطلاحي، وذلك لأن تحديد المفاهيم من أوليات المهام في البحث العلمي.

أولا: التعريف بمصطلح الرحمة في اللغة والاصطلاح:

تعريف الرحمة في اللغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة تعريف كلمة الرحمة كالتالي: الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة.

يقال من ذلك: رحمه يرحمه، إذا رق له وتعطف عليه. [1]

والرحمة: المغفرة،... وترحمت عليه أي قلت: رحمة الله عليه، وترحم عليه: دعا له بالرحمة. واسترحمه: سأله الرحمة. ورجل مرحوم ومرحم، شدد للمبالغة... وسمى الله الغيث رحمة، لأنه برحمته ينزل من السماء... والرحمة في بني آدم عند العرب: رقة القلب وعطفه. ورحمة الله: عطفه وإحسانه ورزقه. [2]

ومما سبق عرضه لبيان كلمة الرحمة في بعض معاجم اللغة، يتضح أنها تدور حول هذه المعاني: رقة القلب، والعطف، والرأفة، والمغفرة، والغيث، والإحسان، والرزق.

([1]) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار الفكر، ط 1399 هـ، 1979م، ج 2، ص 498، مادة (ر ح م).

([2]) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط 3- 1414هـ، ج 12، ص 320، مادة (رحم).

تعريف الرحمة في الاصطلاح:

وردت عدة تعريفات لمصطلح الرحمة في الاصطلاح؛ منها:

التعريف الأول: أن الرحمة هي: "إرادة إيصال الخير." [1]

التعريف الثاني: أن الرحمة: "حالة وجدانية تعرض غالبا لمن به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني، الذي هو مبدأ الإحسان." [2]

التعريف الثالث: الرحمة: "رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلانا. وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة". [3]

والرحمة وإن كانت حقيقتها القلب، والانعطاف النفسي المقتضي إلى المغفرة والإحسان، فإنها لن تكون مجرد عاطفة نفسية، لا أثر لها في الخارج، بل إنها ذات آثار خارجية ومظاهر حقيقية، تتجسم فيها في عالم الشهادة، فمن آثار الرحمة الخارجية: العفو عن ذي الزلة، وإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع، ومواساة الحزين. [4]

والملاحظ على هذه التعريفات للمعنى الاصطلاحي للرحمة:

أن التعريفين الأول والثاني: مقصور على قصد فعل الرحمة والاتجاه إليه فقط، فقد عبر به بكلمة الإرادة، وهي غير الفعل، ولا معنى لصفة الرحمة بدون تحقيق مرادها تحقيقا عمليا، واقعيا.

([1]) الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 03، 141 هـ، 1983م، ص 110

([2]) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1993م، ج 2، ص 376.

([3]) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، دمشق بيروت، دار القلم، ط 1- 1412 هـ، ج 1، ص 347

([4]) الجزائري، أبو بكر جابر، منهاج المسلم، المنصورة، مكتبة الإيمان، د. ت، ص 122

والتعريف الثالث: أرى أنه مناسب لتعريف مصطلح الرحمة، شارح لحقيقتها، والتي تقتضي القصد والفعل معا.

ويمكن تعريف مصطلح الرحمة بأنها: رقة في القلب، وحب لإيصال الخير؛ يقتضي الإحسان العملي للآخرين.

ثانيا: التعريف بمصطلح الأسير في اللغة والاصطلاح.

تعريف الأسير في اللغة:

جاءت كلمة الأسير في اللغة بعدة معان، منها، الأسير: أي المقيد يقال: أسرت الرجل، أسرا وإسارا، فهو، أسير ومأسور. وكل محبوس في قد أو سجن: أسير. [1]

والأسر، معناه في اللغة: الشد. يقال: أسرت الشيء آسره أسرا: إذا شددته [2]، وأسر قتبه يأسره أسرا: شده بالإسار، وهو القد. ومنه سمي الأسير، وكانوا يشدونه بالقد، فسمي كل أخيذ أسيرا، وإن لم يشد به [3]، والجمع (أسري) و (أساري)، وهذا لك (بأسره) أي: بقده يعني جميعه، كما يقال برمته [4]. والأسير: المسجون [5].

ويستنبط مما سبق ذكره من المعاني اللغوية لكلمة الأسير أنها تعني: الشد، والإنسان المقيد، والإنسان المحبوس، والمسجون.

([1]) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، دار الهداية، ط 1966 م، ج 10، ص 50

([2]) الأنباري، محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1412هـ- 1992م، ج 2، ص 77

([3]) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، بيروت، دار العلم للملايين، ط 4، 1407 هـ- 1987 م، ج 2، ص 578

([4]) الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ، بيروت، المكتبة العصرية– الدار النموذجية، ط 5، 1420 هـ/ 1999 م، ص 18

([5]) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1421 هـ، 2000 م، ج 8، ص 543

تعريف الأسير في الاصطلاح:

جاء تعريف الأسارى عند فقهاء الشريعة، بأنهم: "الرجال المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء" [1]

ويعرف الأسير عند فقهاء القانون الدولي بأنه:

"كل شخص يؤخذ لا لجريمة ارتكبها، وإنما لأسباب عسكرية." [2]

والملاحظ في تعريف علماء الفقه الإسلامي، أنه أدق من التعريف الآخر لفقهاء القانون الدولي، حيث خص الفقه الإسلامي الرجال دون غيرهم، وهذا هو الأصل ما لم يشارك غير الرجال في الحرب، بأي نوع من تلك المشاركة، بينما النظام الوضعي أطلق ذلك ولم يقيده. والفقه الإسلامي حصر الأسر في الكفار؛ متى ظفر بهم المسلمون، بينما النظام الوضعي أطلق ذلك، ولم يعتبر الديانة موجبة أو مانعة من الأسر. [3]

([1]) الماوردي، أبو الحسن بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1398هـ، 1978 م. ص 176، ابن الفراء، محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1421، 2 هـ، 2000 م

([2]) الزحيلي، وهبة، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دمشق، دار الفكر، ط 3، 1491 هـ، 1989م، ص 403

([3]) التويجري، صالح عبد العزيز، أحكام الأسر في الفقه الإسلامي والنظام الوضعي، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط 1412 هـ، ص 22

المبحث الأول

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسارى وقبول الفداء منهم

كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيما رقيقا، قد بلغ القمة والدرجة العالية في العفو والصفح، وكذلك حاله صلى الله عليه وسلم في كل شيمة من شيمه الكريمة. وقد شملت رحمته وعطفه جميع الناس، فهو صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، فشملت رحمته الأعداء فضلا عن الأصدقاء.

وفي هذا المبحث نتعرض فيه لعفو النبي صلى الله عليه وسلم، عن الأسارى، وقبول الفداء منهم، حيث سطر التاريخ مواقف كريمة لنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، فقد عفا النبي صلى الله عليه وسلم، عن أسرى بني المصطلق، وأطلق سراحهم، وعفا صلى الله عليه وسلم في الحديبية عن مجموعة من الشباب المسلح، غدوا على حرد، يريدون قتله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم، فأسرهم الصحابة رضي الله عنهم، وأطلق سراحهم رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم، كذلك دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة فاتحا، وعفا عن أهلها، وتسطر السيرة النبوية موقفه النبيل من أسرى هوازن وعفوه عنهم، وموقفه العظيم مع زوج ابنته أبي العاص بن الربيع صلى الله عليه وسلم، وموقفه الكريم مع سيد بني حنيفة. وهذا ما سنوضحه في السطور التالية.

المطلب الأول

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسارى وعفوه عنهم

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى بني المصطلق وعفوه عنهم

غزا النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة، وقيل: كانت في شعبان سنة خمس، والأول أصح، وهو قول ابن إسحاق وغيره، فأغار عليهم وهم غارون على ماء

لهم يسمى المريسيع [1]، فقتل من قتل منهم، وسبى النساء والذرية،.. وكان من السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ملك بني المصطلق، وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها، فأدى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها، فصارت أم المؤمنين، فأعتق المسلمون بسبب ذلك مئة بيت من بني المصطلق قد أسلموا. [2] وتصور لنا السيدة عائشة هذه القصة فتقول: لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس– أو لابن عم له– وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها احد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها، قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيري منها ما رأيت، فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس– أو لابن عم له– فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي. قال: "فهل لك في خير من ذلك؟". قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: "أقضي كتابتك وأتزوجك" قالت: نعم يا رسول الله. قال: "قد فعلت". وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله الله صلى الله عليه وسلم تزوج جورية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها [3].

([1]) بالضم، ثم الفتح، وياء ساكنة، وسين مهملة مكسورة، وياء أخري، وآخره عين مهملة. ورواه بعضهم بالغين المعجمة: ماء من ناحية قديد إلى الساحل به غزوة النبي عليه السلام إلى بني المصطلق من خزاعة، فقاتلهم وسباهم واصطفى منهم جويرية فتزوجها. (ابن شمائل القطيعي البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت، دار الجيل، ط 1، 1412 هـ، ج 3، ص 1263).

([2]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، الفصول في السيرة، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، بيروت، مؤسسة علوم القرآن ط 3، 1403 هـ، ج 1، ص 179

([3]) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة ط 1، 1431هـ- 2001 م، ج 4، ص 385، برقم: 36365،

إن زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة جويرية بنت الحارث، كاف لأن يدع المسلمون ما بأيديهم من الأسرى والسبايا، إذ عتق بزواجها رجال مئة دار من العرب [1]، وترتب على هذا التكريم العظيم وهذه المعاملة الحسنة، أن أسلم بنو المصطلق عن آخرهم وأصبحوا قوة تنشر الإسلام وتدافع عنه وتحميه، بعد أن كانوا قوة تناوئ الإسلام وتحاربه وتعاديه. [2]

ولعل سائل يسأل: وما علاقة عتق الصحابة رضي الله عنهم لأسرى بني المصطلق، برحمة النبي صلى الله عليه وسلم وعفوه؟

إن النبي صلى الله عليه وسلم، منذ أن بعثه الله تعالى إلى الناس جميعا، وهو يرسخ في قلوب أصحابه رضي الله عنهم وأتباعه مكارم الأخلاق، ومن هذه المكارم خلق الرحمة؛ فقد ربى صحابته على هذا الخلق الكريم، وأخذ يعمقه في نفوسهم، وجعله من دلائل الكمال، وذلك ليتراحموا فيما بينهم.

فضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع المثل فيما بينهم بتحقيق هذا الخلق، وتعدى ذلك إلى غيرهم من غير المسلمين؛ تأسيا بأخلاق الرسول الكريم رضي الله عنهم واتباعا لأوامره، وصار هذا الخلق سجية عند الصحابة رضي الله عنهم مما جعلهم في هذا الموقف يطلقون سراح هؤلاء الأسرى، حبا في النبي صلى الله عليه وسلم، ورحمة بهؤلاء الأسارى، وطمعا في إسلامهم.

وقال محققوه: إسناده حسن من أجل محمد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث هنا فانتفت شبهة تدليسه. وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. يعقوب: هو ابن إبراهيم بن سعد الزهري.

(1) أبو زهرة، محمد بن أحمد، خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، القاهرة، دار الفكر العربي، ط 1425 هـ، ج2، ص 726

(2) النجار، محمد الطيب، القول المبين في سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، بيروت، لبنان، دار الندوة الجديدة، د ت، ج 1، ص 298

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى الحديبية وعفوه عنهم

في السنة السادسة من الهجرة النبوية، وحينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعقد الصلح مع قريش، قرر مجموعة من شباب قريش، أن يحولوا بينهم وبين الصلح، فقرروا إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم ولكن الصحابة رضي الله عنهم فطنوا لذلك، وأخذوهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن نبي الرحمة عفا عنهم وأطلق سراحهم، ويصور هذا المشهد الصحابي الجليل عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه فيقول: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة، التي قال الله تعالى: في القرآن الكريم [1]، وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسهيل بن عمرو بين يديه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: "اكتب بسم الله الرحمن الرحيم". فأخذ سهيل بن عمرو بيده، فقال: ما نعرف الرحمن الرحيم، اكتب في قضيتنا ما نعرف، قال: "اكتب باسمك اللهم". فكتب: "هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة". فأمسك سهيل بن عمرو بيده، وقال: لقد ظلمناك إن كنت رسوله، اكتب في قضيتنا ما نعرف. فقال: "اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. وأنا رسول الله". فكتب.

فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ الله عز وجل بأبصارهم، فقدمنا إليهم فأخذناهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل جئتم في عهد أحد، أو هل جعل لكم أحد أمانا؟ "فقالوا: لا،

([1]) (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18)) (الفتح: 18)

فخلى سبيلهم، فانزل الله عز وجل: [1] (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (24)) (الفتح: 24)، وهذا موقف عظيم من مواقف رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسارى، فهؤلاء الشباب من المشركين أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم، وكان باستطاعته صلى الله عليه وسلم أن يقتلهم، ولكنه صلى الله عليه وسلم عفا عنهم، وأطلق سراحهم، لعل ضمائرهم تستيقظ، ويفكروا في هذا الموقف؛ فيكرمهم الله بالإسلام. وهذه قمة الرحمة والعفو من المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وبعد صلح الحديبية، يحدث موقفا آخرا مع المشركين، تتجلى فيه رحمة النبي صلى الله عليه وسلم، فيصور لنا هذا الموقف الصحابي الجليل سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فيقول: (.. ثم إن المشركين راسلونا الصلح حتى مشى بعضنا في بعض، واصطلحنا، قال– سلمة بن الأكوع– وكنت تبيعا [2] لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أسقي فرسه، وأحسه [3]، وأخدمه، وآكل من طعامه، وتركت أهلي ومالي مهاجرا إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها [4] فاضطجعت في أصلها، قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم

([1]) مسند الإمام أحمد، ص 86، (16800) وقال محققوه: حديث صحيح، وانظر الهيثمي، أبو الحسن نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ط: 1414هـ، 1994م، ج6، ص145، (10182) وقال الهيثمي: رواه أحمد. ورجاله رجال الصحيح

([2]) وكنت تبيعا: أي خديما له أتبعه. (عياض، أبو الفضل بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، مصر، دار الوفاء، ط 1، 1419 هـ– 1998 م، ج 6، ص 191).

([3]) وأحسة: أنفض عنه التراب. (عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، مرجع سابق، ج 6، ص 191)

([4]) أي قطعته (ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض، ط دار الوطن، بدون تاريخ، ج 2، 306).

واضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين، قتل ابن زنيم [1]، قال: فاخترطت سيفي [2]، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، فجعلته ضغثا [3] في يدي، قال: ثم قلت، والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم، لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وجاء عمي عامر [4] برجل من العبلات [5] يقال له: مكرز يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس، مجفف [6] في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "دعوهم، يكن لهم بدء الفجور، وثناه" [7]، فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم...." [8]

إن هؤلاء المشركين الأربعة جعلوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما يحكي سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، حتى إنه قال: فأبغضتهم، وهذا دليل على شدة إيذائهم بالكلام في

([1]) يقول ابن الجوزي: قوله قتل ابن زنيم: ما نحفظ من الصحابة من يقال له ابن زنيم غير شخصين: سارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر وهو الذي قال عمر: يا سارية الجبل وأخوه أنس بن زنيم (ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، مرجع سابق، ج 2، ص 306)

([2]) أي: سللته (النووي، أبو زكريا يحي بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط، 1392، ج 6، ص 267)

([3]) الضغث: الحزمة (النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، ج 6، ص 267)

([4]) عامر بن سنان الأنصاري

([5]) العبلات: وهم حي من قريش ينتسبون إلى أم يقال لها عبلة (ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، غريب الحديث، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1985م، ج2، ص 64

([6]) هو بفتح الجيم وفتح الفاء الأولى المشددة، أي عليه تجفاف بكسر التاء، وهو ثوب كالحل يلبسه الفرس ليقيه من السلاح، وجمعه: تجافيف.(النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، ج6، ص 267)

([7]) البدء فبفتح الباء وإسكان الدال وبالهمز، أي ابتداؤه، وثناه: أي عودة ثانية، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، ج6، ص 267)

([8]) مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، ط دار إحياء التراث العربي، د. ت، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، برقم (1807)

حق النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لما ساقهم سلمة بن الأكوع صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل بهم مثل ما يفعل قادة الحروب إذا سبوا، أو نيل منهم، ولكنه صلى الله عليه وسلم نظر إليهم نظرة رحمة وشفقة، فعفا عنهم، وأطلق سراحهم، وصدق من قال عنه صلى الله عليه وسلم: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: 107) وهنا تتجلى رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وعفوه، فلم ينتقم منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بمقدوره ذلك، لكنه صلى الله عليه وسلم عفى عنهم.

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى مكة، وعفوه عنهم.

في العام الثامن من الهجرة، دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا، وبعد دخولها أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة، فكان يوما مجموعا له الناس، وكان يوما مشهودا.

وكان من الحق على المسلمين أن يتخذوا هذا اليوم عيدا، يحمدون الله فيه على هذه النعمة الكبرى والنصر العظيم.

بعد أن تم فتح مكة، واجتمع الناس حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان منهم من ائتمروا به ليقتلوه، ومن قاتلوه في بدر، وفي أحد، وحاصروه في غزوة الخندق، وعذبوه وأصحابه، نظر إليهم وهم جميعا في قبضة يده: أمره نافذ في رقابهم، وحياتهم رهن كلمة ينطق بها، فلم يأخذه العجب والغرور بما وصل إليه من مجد وسلطان، ولم يطف بنفسه ما يتملك نفوس الناس ساعة النصر والظفر من ظلم وطغيان، بل وحتى لم يفكر في الانتقام لنفسه والمسلمين عما أصابهم على أيدي قريش من الأذى والعدوان، ولكنه نظر إلهم نظرة كلها عفو ورحمة، وقال لهم [1]: (... يا

([1]) النجار، محمد الطيب، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، بيروت، لبنان، دار الندوة الجديدة، د ت، ج 1، ص 351

معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)) (الحجرات: 13)، ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء" [1] [2] فأعتقهم صلى الله عليه وسلم جميعا ولم يسب ذراريهم، وكان الله قد أمكنه منهم، فكانوا له فيئا، فبذلك سمى أهل مكة الطلقاء [3]، أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا، ولم يؤسروا، والطليق هو الأسير إذا أطلق. [4] وأنتم الطلقاء: أي: أنتم الخلصاء من قيد الأسر، فإنهم كانوا حينئذ أسرى. [5]

هذه هي محبة الأعداء، والعفو عنهم. وهذا ما حققه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضرب به المثل للسماحة، التي لا عهد للدنيا بمثلها، فذلك هو العفو والصفح، وتلك هي دماثة الخلق، وسعة الصدر، وكرم المعدن.

إنه لم يدع الناس إلى فضيلة إلا بدأ بها بنفسه. لم تكن دعوته كلمات عذبة يرسلها على الناس، ولكنها كانت عملا يتقدم به إلى الإنسانية، ليكون لها منه أسوة وقدوة. [6]

([1]) ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط 3، 1375 هـ- 1955 م، ج 2، ص 4012

([2]) قال الحافظ العراقي– رحمه الله–: "رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وفي ذم الغضب، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الوفاء وفيه ضعف، وذكره ابن السبكي في الأحاديث التي لم يجد لها إسنادا في إحياء علوم الدين، وضعفه الشيخ الألباني– رحمه الله– بقوله: ".. وهذا سند ضعيف مرسل. لأن شيخ ابن إسحاق لم يدرك أحدا من الصحابة، بل هو يروي عن التابعين وأقرانه، فهو مرسل أو معضل" سلسله الأحاديث الضعيفة (3/ 308) وذكره الطبري في "التاريخ" (3/ 120) قال: فحدثني بعض أهل العلم فذكره، ونقله الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (4/ 300- 301) ساكتا عليه

([3]) الطهطاوي، رفاعة رافع، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، القاهرة، دار الذخائر– القاهرة، ط 1-1419 هـ، ص 360

([4]) القسطلاني، أحمد بن محمد، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، القاهرة، المكتبة التوفيقية، د ت، ج 1، ص 385

([5]) اللحجي، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي، منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم جدة، دار المنهاج، ط 3، 1426 هـ/ 2005 م، ج 2، ص 501

([6]) الندوي، السيد سليمان، الرسالة المحمدية، دمشق، دار ابن كثير، ط 1423 هـ، ص 171

والنبي صلى الله عليه وسلم بعفوه عن أهل مكة أنهى الأحقاد، ووضعها دبر أذنه، ليستقبلوا عهدا جديدا في الإسلام.

إن الداعي بدعاية الحق، يجب عليه أن يطهر نفسه من أمرين: أحدهما أدران التألم من الناس لأذى سبقوا به، أو لحسك الصدور، أو لفحش كان منهم، فإنه جاء لهدايتهم، لا لمقابلة إساءة بمثلها، ولا ليشغل نفسه بالنقمة بهم، وإن كانت حقا أو أخذ حق، ولا علاج لذلك إلا بأن يجعل نسيان الماضي، والتسامح، هو السبيل لهذا النسيان، والعفو عما سلف من سيئات هو الذي يمكن الداعي من الخلاص إلا من الحق.

ثانيهما: أن يبعد الأثرة عن نفسه، فلا يفكر في العمل لنفسه، وذلك يقتضي الإيثار، والفناء في دعوته التي يدعو إليها، وإن تطهير النفس من الأثرة، إنما يكون بتغليب ترك الحقوق إذا لم يكن في تركها إقامة لباطل، أو خفض لحق، أو سكوت عن حق عام، فالداعي ينسى حقوقه الشخصية، بل يهملها من غير تهاون، ولا يترك حقا عاما، ولا أمرا من موجبات دعايته، فإن تساهل في حقوقه، فلكي يتفرغ بكله للحقوق العامة.

وإذا كان ذلك ما ينبغي أن يكون عليه دعاة الحق، والناصرون له من الناس، فكيف يكون الشأن ممن هو رسول لرب العالمين، إنه ينسى حقوق نفسه، فيعفو عنها، ويذكر حقوق الناس فلا يفرط في أي جزء منها.

ولقد قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وصف النبي صلى الله عليه وسلم : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا، ولا صخابا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة

مثلها، ولكن يعفو ويصفح. [1]. وفى الجملة ما كان يحمل إلا الخير وينفي عن نفسه كل ما يثيرها على أحد، فلا يكون منه إلا النفع، ولا يحمل نفسه عناء البغض والكراهة إلا أن يكون لله. [2]

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى هوازن وعفوه عنهم

جاء وفد هوازن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة حنين، وكان قد أسر منهم العدد الكثير، فقد ذكر ابن كثير أنهم كانوا ستة آلاف من الذرارى والنساء ومن الابل والشاء ما لا يدري عدته. فقالوا: يا رسول الله إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك. [3]

وقام خطيبهم زهير بن صرد أبو صرد فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟" فقالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا، فقولوا، إنا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا؛ فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم.

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

([1]) مسند أحمد، ج 4، ص 256، برقم: 25417، وقال محققوه: إسناده صحيح

([2]) أبو زهرة، محمد بن أحمد، خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، مرجع سابق، ط 1425 هـ، ص 186

([3]) انظر رواية أخرى لهذا الحديث. (الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، عالم الكتب، ج 3، ص 950).

وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عيينة –بن حصن الفزاري–: أما أنا وبنو فزارة فلا. وقال العباس بن مرداس السلمي: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بل ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: يقول عباس بن مرداس لبني سليم: وهنتموني؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول فيء نصيبه. فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم. [1]

هذا موقف كريم تتجلى فيه أسمى معاني الرحمة، والشفقة، بأناس عاش معهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو رضيع، فقد كان مسترضعا في بني سعد بن بكر بن هوازن، وكانت مرضعته السيدة حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وقد جاء وفد هوازن يطلب العفو من النبي صلى الله عليه وسلم فقام خطيبهم راجيا العفو والمنة من النبي صلى الله عليه وسلم ذاكرا له حرمة الأهل والعشيرة وصلة الرحم، وأن في الأسارى من هم خالاته وحواضنه صلى الله عليه وسلم ، وكانت حرمة الرضاع منتشرة ومرعية عند العرب، فتذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأيام، فرق لهم رقة شديدة، وعزم على العفو عنهم، وهو يملك ذلك، فهو نبي الله تعالى ومصطفاه، وهو قائد المسلمين، فإذا أمر بشيء تسارع الصحابة لإجابته، ولكنه صلى الله عليه وسلم راع وكل راع مسؤول عن رعيته، وناظر في أمر المسلمين، والأمر شورى، وهذه حقوق المسلمين جميعا، وهذه رحمة منه صلى الله عليه وسلم بصحابته، في مراعاة رأيهم ومشاعرهم وحقوقهم، ففكر النبي صلى الله عليه وسلم في أمر وسط، يجبر به كسر هؤلاء الأسارى، ويراعي به الرحم والصلة، وأمر آخر يحفظ به حقوق المسلمين، ولا

(1) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت– لبنان، ط 1395 هـ–1976 م، ص 669.

يجبرهم على شيء لا يريدونه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم وفد هوازن أن يستشفعوا به صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين، وأن يطلبوا شفاعة المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبهذا أقنع النبي صلى الله عليه وسلم صحابته بترك هؤلاء الأسرى وإطلاق سراحهم، وترك الغنائم لهم، وهذا دليل على قمة الرحمة والعفو.

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأبي العاص بن الربيع رضي الله عنه وعفوه عنه.

أبو العاصي بن الربيع صلى الله عليه وسلم زوج السيدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي وقف موقف كريما حينما تصدى بكل قوة للضغوط التي مارستها عليه قريش ليطلق زوجته، ويفعل كما فعل ابنا أبي لهب حينما طلقا ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساوموه في ذلك أكثر من مرة، عارضين عليه الزواج بأي امرأة يريدها ولكن يرفض بكل قوة قائلا: "لا والله لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بها امرأة من قريش" [1].

ويقع أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه أسيرا في أيدي المسلمين في غزوة بدر فتبعث زوجته في فدائه بمال ضمنته قلادة كانت لأمها السيدة خديجة رضي الله عنها وهبتها لها عند زواجها؛ فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق قلبه رقة شديدة لذكرى الزوجة الحنون، وكان يمكن له صلى الله عليه وسلم أن يصدر قرارا بالعفو التلقائي عن زوج ابنته ولكن صلى الله عليه وسلم برغم وفائه لذكرى زوجته الغالية، ورغم حبه لابنته العزيزة، ورغم تقديره لزوج ابنته، رغم هذا كله يريد أن يربي أولاده وأن يعطي الأسوة الحسنة، والمثل الأعلى للدنيا كلها فلا يستخدم حقه في العفو عن زوج ابنته أبي العاص وإطلاق سراحه دون فداء بمال– كما فعل مع بعض الأسرى في غزوة بدر، ولكن يعرض الأمر على أصحابه ويفوضهم في إصدار القرار قائلا: (إن رأيتم أن تطلقوا

---

(1) الكلاعي، سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، بيروت، عالم الكتب، ط الأولى 1417 هـ- ج 2- ص 36

لها أسيرها، وتردوا إليها متاعها فعلتم، قالوا: نعم يا رسول الله فأطلقوا أبا العاص بن الربيع وردوا على زينب قلادتها وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم على أبي العاص رضي الله عنه أن يخلي سبيلها إليه، فوعده ذلك ففعل.) [1] وكان أبو العاص وفيا كريما فأوفى بعهده.

وأقام أبو العاص رضي الله عنه بمكة وأقامت زينب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين فرق بينهما الإسلام حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرا إلى الشام وكان رجلا مأمونا بمال له وأموال لرجال من قريش، أن يضعوها معه فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا، لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابوا ما معه وأعجزهم هاربا، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستجار بها، فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح، فكبر وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع. قال فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس، فقال: أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم، قال: أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء من ذلك، حتى سمعت ما سمعتم إنه يجير على المسلمين أدناهم، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته فقال أي بنية: أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص رضي الله عنه فقال لهم: إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فإنا نحب ذلك. وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به فقالوا: يا رسول الله بل نرده عليه، فردوه عليه.. ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله.. ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيرا، فقد وجدناك

([1]) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1- 1968م ج8، ص 31

وفيا كريما قال: فأنا أشهد أن لا اله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أني أردت أن آكل أموالكم فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم. [1]

يتضح من هذا الموقف الكريم؛ رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بزوج ابنته أبي العاص بن الربيع صلى الله عليه وسلم، هذا الرجل الذي وقف موقف بطوليا تحدى فيه صناديد الشرك بمكة، وأبى أن يتخلى عن زوجه السيدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقع الآن في محنة عظيمة، ألا وهي محنة الأسر، وهنا تتجلى الرحمة النبوية، فيسعي النبي صلى الله عليه وسلم لفك هذا الأسير، رحمة به ورحمة بابنته السيدة زينب، وقد كان لنبينا صلى الله عليه وسلم عناية فريدة ببناته تتضح لكل من طالع سيرته.

وهنا تظهر رحمة الأب الكريم بابنته، الحريص على حل مشاكلاتها وإهدائها السعادة الدنيوية والأخروية، سعادة الدنيا في حل مشكلة زوجها بإطلاق سراحه، وسعادة الآخرة برضا الله تعالى، فالنبي صلى الله عليه وسلم يريد لها الخير والنجاة من الكفر؛ لذلك حذرها فقال لها: أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له.

وفي هذا الموقف تظهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بزوجته السيدة خديجة رضي الله عنها عندما رأى قلادتها ترسل لتكون فداء، لزوج ابنتها، فرق لها قلب النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وشفقة ووفاء لهذا الزوج الكريمة الوفية، فأراد أن تبقى هذه القلادة مع ابنته وفاء لأمها رضي الله عنها.

([1]) الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، بيروت، دار المعرفة، ط 1400هـ، ج 3، ص 176، السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1421 هـ/ 2000 م، ج 3، ص 109

ويظهر لنا في هذا الموقف جانبا آخر من جوانب رحمته صلى الله عليه وسلم بصحابته رضي الله عنهم والخوف عليهم من أنهم يظنون أنه صلى الله عليه وسلم يحابي زوج ابنته، ففوض الأمر لهم في اتخاذ القرار بشأن زوج ابنته، فكان قرار الصحابة صلى الله عليه وسلم قرارا رحيما، فرأوا إطلاق سراحه، حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يرجع إلى تربيتهم في مدرسة الرحمة النبوية.

وكانت هناك آثار عظيمة لرحمته صلى الله عليه وسلم بهذا الأسير أبي العاص بن الربيع صلى الله عليه وسلم حيث لم يتردد في إعلان إسلامه، تأثرا بما رآه من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاق أصحابه رضي الله عنهم.

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بثمامة من أثال رضي الله عنهم وعفوه عنه

أعد النبي صلى الله عليه وسلم سرية من أصحابه بلغ عددها: ثلاثين راكبا، ووجههم إلى (القرطاء) في أرض نجد، ناحية خيرية البكرات [1]، وذلك لعشر ليال خلت من المحرم سنة ست من الهجرة،؛ لتأديب بني بكر أحد بطون بني كلاب بعدما تآمروا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعدوا لذلك رجالا منهم، فلما وصلت السرية إلى ديار بني بكر، وشعر القوم بها هربوا، وتركوا أنعامهم وأموالهم، فغنم المسلمون منها ما استطاعوا، وعادوا إلى المدينة في آخر المحرم، وتمكنوا عند رجوعهم من أسر رجل من بني حنيفة يقال له (ثمامة بن أثال) وأحضروه معهم إلى المدينة.

ونترك أبا هريرة رضي الله عنه يحكي قصته، فيقول: (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له: ثمامة بن أثال صلى الله عليه وسلم ، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

(1) موضع جهة نجد قريب من مكة

"ماذا عندك يا ثمامة؟" فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل ذا دم [1]، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعد الغد، فقال: "ما عندك يا ثمامة؟" قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من الغد، فقال: "ماذا عندك يا ثمامة؟" "فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أطلقوا ثمامة"، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا اله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، يا محمد صلى الله عليه وسلم: والله، ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى، والله، ما كان من دين أبغض إلى من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إلى، والله، ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟

فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت، فقال: لا، ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله، لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم) [2]

إن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم لتتجلى في هذا الموقف، مع زعيم بني حنيفة وقائدها، ثمامة بن أثال، لقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل سيد قومه، وها هو قد وقع في الأسر،

([1]) إن تقتل تقتل صاحب دم لدمه، موقع يشتفي بقتله قاتله، ويدرك قاتله به ثأره. أي: لرياسته وفضيلته، وحذف هذا لأنهم يفهمونه في عرفهم، وقال آخرون: معناه تقتل من عليه دم ومطلوب به، وهو مستحق عليه فلا عتب عليك في قتله. (النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، ج 6، ص 214)

([2]) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ، كتاب أبواب المساجد، باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير أيضا في المسجد، برقم: 450، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، برقم: 1774

فبعد السيادة والقوة، أصبح ذليلا ضعيفا، وهذا أمر عسير على هذه النفس، لذلك نظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم نظرة شفقة ورحمة قائلا له: ماذا عندك يا ثمامة؟ فوقعت هذه الكلمات الرحيمة الحانية في قلب ثمامة، وكانت بردا وسلاما، اهتزت مشاعره ورق قلبه، ويعاود النبي صلى الله عليه وسلم ويقول له: ماذا عندك يا ثمامة؟ فتنسكب الكلمات في قلبه، ويشعر بحنوها.

إن ثمامة كان يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم سينتقم منه أو يذله، كما يفعل القادة الكبار بالأسارى، ولكنه رأى شيئا آخر غير معهود، رأى الرحمة والشفقة والمودة، وطيب الحديث، وحسن المعاملة، لم يتردد ثمامة في إعلان إسلامه، وهو يرى هذا الحب والعطف والرحمة، فينطلق ويغتسل ويدخل المسجد مرة أخرى، ولكن مسلما موحدا، ما أعظم هذه الرحمة التي تقود العاصي الكافر إلى الطريق المستقيم والدين القويم.

المطلب الثاني

رحمته صلى الله عليه وسلم بقبوله الفداء من الأسارى

لما وقعت غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة النبوية، وكان النصر فيها للفئة القليلة المؤمنة، على الفئة الكثيرة الكافرة، وقتل فيها الكثير من المشركين، وأسر من أسر، استشار النبي صلى الله عليه وسلم صحابته رضي الله عنهم في أمر الأسرى فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما: "ما ترون في هؤلاء الأسارى؟" فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما ترى يا ابن الخطاب؟"

قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأي أبو بكر صلى الله عليه وسلم، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا رضي الله عنه من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيبا لعمر رضي الله عنه، فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر صلى الله عليه وسلم ، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة–شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم. وأنزل الله عز وجل: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ) (الأنفال: 67) إلى قوله: (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا) (الأنفال: 69)، فأحل الله الغنيمة لهم [1].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الفداء من الأسارى حسب قدرتهم وحالتهم: ومن هؤلاء العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني قد كنت مسلما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بإسلامك، فإن يكن كما تقول، فالله يجزيك بذلك فأما ظاهرا منك فكان علينا.

([1]) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، برقم (3309)، وانظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 1408 هـ- 1988م، ج3، ص 362

فافد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحرث بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر، قال ما إخال ذاك عندي يا رسول الله.

قال: فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل، قلت لها: إن أصبت في سفري هذا فهذا المال لبني: الفضل بن العباس، وعبد الله بن العباس وقثم بن العباس! فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا شيء ما علمه أحد غيري، وغير أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا، ذاك شيء أعطاناه الله تعالى منك، ففدى نفسه وابني أخويه وحليفة، وأنزل الله عز وجل فيه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70)) (الأنفال: 70) فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبدا كلهم في يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل" [1] ومن الأسرى: أبو عزيز بن عمير، وقد بعثت أمه بفدائه بأربعة ألاف درهم [2]. وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم، فإذا حذقوا–أتقنوا الكتابة–فهو فداؤه) [3]

([1]) البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1– 1405 هـ، ج 3، ص 142

([2]) الخضري، محمد بن عفيفي الباجوري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، دمشق، دار الفيحاء ط 2، 1425 هـ، ص 111

([3]) ابن سيد الناس، محمد بن محمد اليعمري، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، بيروت، دار القلم، ط 1، 1414/ 1993م، ص 332

ويتضح من هذا الموقف رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأهله وعشيرته، فلقد استشار النبي أصحابه في أمر الأسرى، فكان الجواب بأمرين، الفداء أو ضرب العنق، ولقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم الفداء، رحمة بأهله وقومه، ففي الأسرى أقاربه، بنو عمومته وغيرهم، وفي الأسرى عمه العباس بن عبد المطلب الذي كان يدافع عنه، ويمنعه من المشركين، وهو الذي ذهب مع النبي صلى الله عليه وسلم ليستوثق له من أهل يثرب قبل الهجرة، كل هذه الأمور كانت تدور بخلد النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك رجح النبي صلى الله عليه وسلم رأي أبي بكر الصديق رضي الله عنه رعاية وشفقة ورحمة بالأهل والأقارب.

وقد كان لهذه الرحمة تأثير كبير في نفوس هؤلاء الأسرى، حيث أسرع مجموعة من كبراء الأسرى وأشرافهم إلى الإسلام، فأسلم أبو عزيز بن عمير عقب غزوة بدر وكثير غيره، وعاد هؤلاء الأسرى إلى بلادهم يتحدثون عن رحمته صلى الله عليه وسلم وكريم أخلاقه.

المبحث الثاني

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الأسرى

لعل أبلغ ما يدل على أن الحرب النبوية التي دافع بها صلى الله عليه وسلم عن المؤمنين، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، هي حرب لتعليم الناس أن الخلق الكريم يلازمها، وأن الفضيلة تظلها في كل أدوارها، هو معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للأسرى.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيما بالأسرى لا يهدر آدميتهم، ولا يعرف تاريخ الإنسانية محاربا كان رفيقا بأسراه كمحمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان صلى الله عليه وسلم يوصى بالأسرى، ولما أسر من أسر في غزوة بدر، نزلوا في بيوت الأنصار، وكأنهم في ضيافة، لا في أسر، وذلك لوصية النبي صلى الله عليه وسلم بهم: حيث قال صلى الله عليه وسلم: (استوصوا بهم– أي بالأسارى– خيرا) [1]

ولماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصى بالأسرى، ويبالغ في الإيصاء بهم؟ والجواب عن ذلك:

أنهم يؤسرون ونيران الحرب مستعرة، وربما كان بعضهم من قتل الكثير من جيش المسلمين، فيكون الاعتداء عليه متوقعا وغليظا لشدة الغيظ، وانبعاث الرغبة في الانتقام، كما فعل الأوربيون والأمريكان فيمن سموهم مجرمي الحرب.

فالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو يضرب الأمثال السامية في تلك الحرب النبوية منع إيذاء الأسرى، وأمر بإكرامهم منعا لتلك الروح الانتقامية الغليظة.

([1]) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ط 1407هـ- 1987م، ج 2، ص 119

وقد أخذ المسلمون في أسرى بدر بتلك الوصية الكريمة، حتى إن الذين قد نزلوا في ديارهم كانوا يؤثرونهم على أنفسهم وأولادهم بالطعام. وإن أولئك الكرام كانوا في جهادين:

أولهما: جهاد السيف ونيران الحرب ملتهبة، حتى إذا انطفأت كان الجهاد الثاني، وهو ضبط النفس لتكظم الغيظ، لئلا يكون منها ما لا يرضاه الله سبحانه وتعالى بالنسبة للمغلوبين، وخصوصا الأسرى. [1] وقد وردت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، ووصيته بالأسارى، ومنها:

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فكوا العاني [2]، يعني: الأسير، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض" [3]، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم على حسن معاملة الأسير، فقد قال لصحابته عندما أسر ثمامة بن أثال: (أحسنوا إساره) [4] وهذه قاعدة عامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لجميع الأسرى.

وفي السطور التالية نتحدث عن مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم في معاملة الأسارى، من إكرامهم، والرفق بهم وعدم إيذائهم، واحترامهم.

([1]) أبو زهرة، خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، مرجع سابق، ج 2، ص 523

([2]) بالعين المهملة وبعد الألف نون على وزن القاضي قال جرير أبو قتيبة (يعني الأسير) أي من المسلمين من بيت المال (القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، ط 7، 1323 هـ، ج 5، ص 166).

([3]) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، برقم: 2881

([4]) السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1421هـ/ 2000 م، ج7، ص 551

المطلب الأول

إكرام النبي صلى الله عليه وسلم للأسرى

ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثلى الأعلى في رحمته بالأسارى، حيث أمر صلى الله عليه وسلم بإطعامهم وكسوتهم وإيوائهم امتثالا لقول الله تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8)) (الإنسان): يقول الرازي في تفسيره لهذه الآية: (.. روي أنه عليه السلام كان يبعث الأسارى من المشركين ليحفظوا وليقام بحقهم، وذلك لأنه يجب إطعامهم إلى أن يرى الإمام رأيه فيهم من قتل أو فداء أو استرقاق، ولا يمتنع أيضا أن يكون المراد هو الأسير كافرا كان أو مسلما، لأنه إذا كان مع الكفر يجب إطعامه فمع الإسلام أولى.) [1]

ويقول ابن كثير: "قال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين، ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء". [2]

ويقول الشوكاني: "وإطعام الأسير لحفظ نفسه". [3]

ويقول صاحب الظلال في معنى هذه الآية: "... هي تصور شعور البر والعطف والخير، ممثلا في إطعام الطعام، مع حبه بسبب الحاجة إليه. فمثل هذه القلوب لا يقال عنها: إنها تحب

([1]) الرازي، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 3- 1420 هـ، ج 30، ص 746

([2]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419 هـ، ج 8، ص 294

([3]) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1 1414 هـ، ج 5، ص 419

الطعام الذي تطعمه للضعاف المحاويج على اختلاف أنواعهم. إلا أن تكون في حاجة هي إلى هذا الطعام، ولكنها تؤثر به المحاويج.

وهذه اللفتة تشي بقسوة البيئة في مكة بين المشركين، وأنها كانت لا تفضي بشيء للمحاويج الضعاف، وإن كانت تبذل في مجالات المفاخرة الشيء الكثير.

فأما الأبرار عباد الله فكانوا واحة ظليلة في هذه الهاجرة الشحيحة. وكانوا يطعمون الطعام بأريحية نفس، ورحمة قلب، وخلوص نية. واتجاه إلى الله بالعمل، يحكيه السياق من حالهم، ومن منطوق قلوبهم". [1]

وقال الثعالبي في تفسيره: "سئل مالك عن الأسير في هذه الآية أمسلم هو أم مشرك؟ فقال: بل مشرك، وكان ببدر أسارى، فأنزلت فيهم هذه الآية. فقال ابن رشد: والأظهر حمل الآية على كل أسير، مسلما كان أو كافرا.

يعني: وان كان سبب نزولها ما ذكر فهي عامة في كل أسير إلى يوم القيامة" [2]

ويقول القرطبي: "ويكون إطعام الأسير المشرك قربة إلى الله تعالى، غير أنه من صدقة التطوع، فأما المفروضة فلا". [3] وقال صاحب روح المعاني: "... أخرج ابن عساكر عن مجاهد أنه قال لما صدر النبي صلى الله عليه وسلم، بالأسارى من بدر أنفق سبعة من المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن وسعد وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم على أسارى مشركي بدر. فقالت الأنصار قتلناهم في الله وفي رسوله صلى الله عليه وسلم، وتعينونهم بالنفقة فأنزل الله تعالى

([1]) حسين، سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة،، بيروت، دار الشروق، ط 17، 1412 هـ، ج 6، ص 3781

([2]) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1418، 1 هـ، ج 5، ص 528

([3]) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض، دار عالم الكتب، 1423 هـ- 2003 م، ج 19، ص 127

فيهم أربع عشرة آية [1]،... ففيه دليل على أن إطعام الأسارى وإن كانوا من أهل الشرك حسن ويرجى ثوابه". [2] وقد ظهر تحقيق قول الله تعالى[3]: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الإنسان: 6)

في أخلاق الصحابة رضي الله عنهم فهذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير صلى الله عليه وسلم يحدثنا عما رأى قال: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استوصوا بالأسارى خيرا) [4]، وكنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر، وأطعموني البر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم [5]

وهذا أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه يحدثنا قال: كنت في رهط من الأنصار جزاهم الله خيرا، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم، حتى إن الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إلي [6]، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد، وكانوا يحملوننا ويمشون. [7]

كان هذا الخلق الرحيم الذي وضع أساسه القرآن الكريم في ثنائه على المؤمنين، وذكر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فاتخذوه خلقا، وكان لهم طبيعة، قد أثر في إسراع مجموعة من أشراف الأسرى وأفاضلهم إلى الإسلام، فأسلم أبو عزيز عقيب بدر، بعيد وصول الأسرى إلى

([1]) من الآية (4) إلى الآية (18) سورة الإنسان

([2]) الألوسي، أبو الفضل محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج 29، ص 155

([3]) الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية– عرض وقائع وتحليل أحداث، مرجع سابق، ج 1، ص 430

([4]) راجع تعليق رقم (59).

([5]) مجمع الزوائد (6/ 86) وقال: رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن

([6]) راجع: حسن معاملة الصحابة للأسرى (الصوياني، أبو عمر محمد بن حمد، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، مكتبة العبيكان، ط 1 1424 هـ- 2004 م، ج 2، ص 132)

([7]) الواقدي، المغازي، مرجع سابق، ج 1، ص 119

المدينة، وأسلم معه السائب بن عبيد بعد أن فدى نفسه، فقد سرت دعوة الإسلام إلى قلوبهم، وطهرت نفوسهم، وعاد الأسرى إلى بلادهم وأهليهم يتحدثون عن محمد صلى الله عليه وسلم ومكارم أخلاقه، وعن محبته وسماحته، وعن دعوته وما فيها من البر والتقوى والإصلاح والخير. [1]

إن هذه المعاملة الكريمة للأسرى شاهد على سمو الإسلام في المجال الأخلاقي، حيث نال أعداء الإسلام في معاملة الصحابة أعلى درجات مكارم الأخلاق، التي تتمثل في خلق الإيثار.

ولم يقتصر إكرام النبي صلى الله عليه وسلم للأسرى على إطعامهم، بل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكسوتهم، وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه، باب الكسوة للأسرى، وذكر حديثا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (لما كان يوم بدر أتى بأسارى وأتي بالعباس رضي الله عنه ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه [2] فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي ألبسه، قال ابن عيينة كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد فأحب أن يكافئه). [3]

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم لأسرى هوازن بالكساء، فقد أمر بسر بن سفيان الخزاعي رضي الله عنه يقدم مكة فيشتري للسبي ثيابا يكسوها، ثياب المعقد فلا يخرج المرء منهم إلا كاسيا، فاشترى بسر كسوة فكسا السبي كلهم [4]

([1]) عرجون، محمد الصادق، محمد رسول الله، بيروت، دار القلم، ط 2، 1415هـ- 1995م، ج3، ص 474.

([2]) يقدر عليه: بفتح الياء وضم الدال، وبضم الياء أيضا وفتح القاف والدال أيضا، وبالوجهين، أي: على قدره. (ابن قرقول، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 1، 1433 هـ- 2012 م، ج5، ص 313) ولم يرد صلى الله عليه وسلم أن يسأل من أخذ قميص العباس، ولا حيث صار في المقاسم. لئلا يحصل بذلك تأذ لغيره من قريش، وكان العباس طوالا كأنه فسطاط، وكان أبوه عبد المطلب أطول منه، وكان ابنه عبد الله إذا مشى مع الناس كأنه راكب والناس مشاة، والعباس أطول منه. (ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دمشق، دار النوادر، ط 1، 1429 هـ- 2008 م، ج 18، ص 172).

([3]) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كسوة الأسرى، برقم: 2846

([4]) الواقدي، المغازي، مرجع سابق، ج 1، ص 944

إن اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بإطعام الأسارى وكسوتهم، دليل على عظمته صلى الله عليه وسلم فلقد أحس النبي صلى الله عليه وسلم بهؤلاء الأسارى، وأدرك أنهم في محنة الأسر يحتاجون إلى الرحمة والشفقة، ويحتاجون كما يحتاج كل إنسان إلى الطعام والشراب، والملبس، وحسن التعامل، وقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، فأوصى النبي صلى الله عليه وسلم صحابته رضي الله عنهم بإطعام الأسارى وكسوتهم، فاستجابوا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وضربوا أروع الأمثلة في ذلك، حتى إنهم كانوا يؤثرون الأسرى على أنفسهم، مما جعل الأسرى يتعجبون من صنعهم، ويتحدثون عن هذه الأخلاق السامية بعد رجوعهم لأهلهم، وكان لها الأثر العظيم في إسلام أكثرهم.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيما في تعامله مع الأسرى، حتى إنه صلى الله عليه وسلم أشرف بنفسه على كسوتهم وراحتهم، وأخذ ينظر بعين الرحمة إلى كل أسير، وما يحتاجه في الأسر من كسوة، فشملت رحمته كل الأسارى، فأطعم جائعهم وكسي عاريهم، رحمة وشفقة بهم.

المطلب الثاني

رفق النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى وعدم إيذائهم

لم يشهد التاريخ قائدا كان رحيما بأعدائه مثل النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بلغت هذه الرحمة مبلغا عظيما، حتى إنه صلى الله عليه وسلم يستمع بنفسه لشكوى الأسير، ويحاوره ويتحمله، وهذا موقف يرويه عمران بن حصين رضي الله عنه يبين ذلك، فيقول: كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله رضي الله عنهم وأسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل وأصابوا معه العضباء [1] فأتي عليه رسول الله صلى الله عليه

([1]) هو علم لناقة النبي صلى الله عليه وسلم منقول من قولهم، ناقة عضباء، أي مشقوقة الأذن، ولم تكن مشقوقة الأذن. (ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي– محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية– بيروت، 1399هـ– 1979م، ج 3، ص 251)

وسلم وهو في الوثاق، قال يا محمد فأتاه فقال "ما شأنك؟" فقال بم أخذتني وبم أخذت سابقة الحاج [1] فقال إعظاما لذلك: "أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف" [2]. ثم انصرف.

عنه فناداه فقال: يا محمد يا محمد. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رقيقا فرجع إليه فقال: "ما شأنك". قال: إني مسلم. قال: "لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح" ثم انصرف فناداه فقال يا محمد يا محمد.

فأتاه فقال "ما شأنك". قال إني جائع فأطعمني وظمآن فأسقني. قال: "هذه حاجتك" [3] [4]

انظر إلى رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأسير؛ فعندما طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام والشراب، كان الجواب من الرحمة المهداة: هذه حاجتك. وهذه الكلمة تدل على كمال رحمته صلى الله عليه وسلم بالخلق جميعا وبهذا الأسير.

إن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الرحمة يرسي قواعد التعامل الرحيم مع الأسرى، من تلبية حوائجهم، وحسن التعامل معهم، والرفق بهم، وكل هذه الأمور يحتاجها اليوم دعاة التقدم والحضارة، في مجتمعات غابت فيها الرحمة والرفق والعدل!.

ومن كمال رفقه ورحمته بالأسارى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن التفريق بين الاسارى إذا كانوا من بيت واحد، فعن عبد الله بن مسعود، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى

([1]) أراد بسابقة الحاج ناقته كأنها كانت تسبق الحاج لسرعتها

([2]) الجريرة: الجناية. (المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي، المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، تونس، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1988 م، ج 2، ص 361.

([3]) معنى قوله "هذه حاجتك": أي حاضرة يؤتى إليك بها الساعة. (الشوكاني، نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، القاهرة، دار الحديث، ط 1، 1413هـ، 1993م، ج 7، ص 360)

([4]) صحيح مسلم، كتاب النذر، باب لاوفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد، برقم: 1641.

بالسبي، أعطى أهل البيت جميعا، كراهية أن يفرق بينهم [1]. بل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتفقد أحوال الأسارى، وينظر إليهم بعين الرحمة ويرق لهم، فقد روى عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه، أنه قدم بسبي من البحرين فصفوا، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظر إليهم فإذا امرأة تبكي فقال: "ما يبكيك؟" فقالت: بيع ابني في بني عبس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي أسيد صلى الله عليه وسلم: "لتركبن فلتجيئن به" فركب أبو أسيد فجاء به. [2]

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم صحابته رضي الله عنهم بالرفق بالأسارى، وعدم إيذائهم، وحسن معاملتهم وإكرامهم، وقد امتثل الصحابة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وضربوا الأمثلة الرائعة في ذلك، فقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم أبا الهيثم بن التيهان أسيرا وقال له:

(خذ هذا، واستوص به خيرا، فإني رأيته يصلى، وإني نهيت عن قتل المصلين، فأخذه أبو الهيثم فانطلق إلى منزله، ثم قال: إن رسول الله أوصاني بك خيرا فأنت حر لوجه الله– وفي رواية أخرى– قال له: أنت حر لوجه الله، ولك سهم من مالي) [3]

ومن صور الرحمة التي طبقها الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه عبد الرحمن الحبلي قال: كنا في البحر وعلينا عبد الله بن قيس الفزاري ومعنا أبو أيوب الأنصاري صلى الله عليه وسلم، فمر بصاحب المقاسم وقد أقام السبي، فإذا امرأة تبكي، فقال: ما شأن هذه؟

([1]) ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دمشق، بيروت، دار الرسالة العالمية، ط 1، 1430 هـ- 2009 م، ج 3، ص 357، برقم: 2248، وقال محققوه: حسن لغيره

([2]) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ج 3، ص 591، برقم (6193) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: "مرسل". أخرجه البيهقي في سننه (9/ 126) في السير، باب التفريق بين المرأة وولدها، من طريق الحاكم، به مثله. ثم قال البيهقي عقب الحديث: "هذا وان كان فيه إرسال، فهو مرسل حسن

([3]) البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط 1، 1423هـ- 2003 م، ج 6، ص 334، برقم: 4606

قالوا: فرقوا بينها وبين ولدها، قال: فأخذ بيد ولدها حتى وضعه في يدها، فانطلق صاحب المقاسم إلى عبد الله بن قيس فأخبره، فأرسل إلى أبي أيوب فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة". [1]

ومما سبق عرضه يتضح:

كيف كان نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم يتعامل مع الأسارى، ويرفق بهم، ويرق قلبه لهم، ويتحاور معهم، ويأمر صحابته بالإحسان إليهم، وإطعامهم وكسوتهم، واحترامهم، ولقد نفذ الصحابة أمر النبي صلى الله عليه وسلم، طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

وضربوا أروع الأمثلة في الإيثار والعطف على أسراهم، مما جعل هؤلاء الأسرى يسرعون للدخول في الإسلام أفواجا.

([1]) مسند الإمام أحمد، ج 38، ص 436، برقم (23499)، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، ط2، 1395هـ- 1975م، باب في كراهية التفريق بين السبي، ج4، ص 134، برقم: 1566، وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم، كرهوا التفريق بين السبي بين الوالدة وولدها، وبين الولد والوالد، وبين الإخوة، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم: 6412، وقال عنه حسين سليم أسد في سنن الإمام الدارمي "2479"، إسناده جيد

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى اللهم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خير خلق الله، خاتم النبيين والمرسلين، ورضي الله عن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

قد انتهيت–بتوفيق الله تعالى–من دراسة هذا البحث، والذي كان بعنوان: (رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسارى) وقد خرجت من هذه الدراسة بنتائج وتوصيات أهمها:

أولا: النتائج:

إن كلمة الرحمة في معاجم اللغة، تدور حول هذه المعاني: رقة القلب، والعطف، والرأفة، والمغفرة، والغيث، والإحسان، والرزق. ويمكن تعريف مصطلح الرحمة بأنها: رقة في القلب، وحب لإيصال الخير؛ يقتضي الإحسان العملي للآخرين.

جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الرحمة والعدل في كثير من المواقف، ويتضح ذلك في رحمته بأسرى هوازن عندما رفق بهم وتنازل عن حقه لهم، وبين تخيير بقية المسلمين في التنازل عن حقوقهم، وظهرت رحمته في سعيه لإطلاق سراح أبي العاص مع جعله القرار الحاسم بأيدي الصحابة، واختياره الفداء لأسرى بدر مع عدم إعفاء قرابته وعمومته منه.

ظهرت رحمته صلى الله عليه وسلم الشاملة في الموقف الواحد، فنجده صلى الله عليه وسلم في إطلاق سراح أبي العاص بن الربيع، كان رحيما به، وبزوجته السيدة زينب، وزوجته السيدة خديجة، حتى بعد وفاتها، ورحيما بصحابته صلى الله عليه وسلم.

إن معاملة النبي للأسرى، ورحمته بهم، وعفوه عنهم، جعلت الكثير منهم يفكر في الدخول في الإسلام، وهذا ما حدث، فقد تأثر أبي العاص بن الربيع رضي الله عنه بحسن معاملة النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم، وكذلك ثمامة بن أثال رضي الله عنه، وغيرهم ممن عفا عنهم رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي كانت فيه الحروب في الجاهلية لا تعرف أخلاقيات الحرب، ظهرت رحمته صلى الله عليه وسلم في هذا الميدان، لتشرع للعالمين تصورا شاملا للتعامل مع الأسارى على أساس الرحمة والرأفة والعدل.

اقتدى الصحابة رضي الله عنهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في معاملة الأسرى، وكانت هذه المعاملة الكريمة للأسرى شاهد على سمو الإسلام في المجال الأخلاقي، حيث نال أعداء الإسلام في معاملة الصحابة أعلى درجات مكارم الأخلاق، التي تتمثل في خلق الإيثار.

ثانيا: التوصيات:

رد الشبهات التي أثيرت عن الإسلام؛ وأنه انتشر بحد السيف، وأن المسلمين كانوا متعطشين للدماء، مع بيان المعاملة الكريمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأسرى والعفو عنهم واحترامهم.

ضرورة اهتمام الباحثين بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وإبرازها في أبحاثهم، مع ضرورة الاهتمام بتطبيقها.

اسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله في ميزان الحسنات وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي– محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية– بيروت، 1399هـ– 1979م
3. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، غريب الحديث، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1985 م
4. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض، ط دار الوطن، د ت.
5. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة ط 1، 1421هـ- 2001 م
6. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط 1– 1968م
7. ابن سيد الناس، محمد بن محمد اليعمري، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، بيروت، دار القلم، ط 1، 1414/ 1993 م
8. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1421هـ، 2000

9. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار الفكر، ط 1399هـ، 1979م، ج 2، ص 498

10. ابن الفراء، محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1421 هـ، 2000 م

11. ابن قرقول، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 1، 1433 هـ- 2012 م

12. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1 1408، هـ- 1988 م

13. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1419 هـ، ج 8، ص 294

14. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت– لبنان، ط 1395 هـ- 1976م

15. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، الفصول في السيرة، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو مؤسسة علوم القرآن ط 3، 1403هـ، ج 1، ص 179

16. ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دمشق، بيروت، دار الرسالة العالمية، ط 1، 1430هـ- 2009 م

17. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دمشق، دار النوادر، ط 1، 1429 هـ- 2008 م

18. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط 3- 1414 هـ

19. ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط 3. 1375 هـ- 1955م

20. أبو زهرة، محمد بن أحمد، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، القاهرة، دار الفكر العربي، ط 1425 هـ

21. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى 1417هـ

22. الآلوسي، أبو الفضل محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي

23. الأنباري، محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1412هـ- 1992م

24. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ

25. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية، ط 3، 1424 هـ، 2003 م

26. البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط 1، 1423 هـ– 2003 م

27. البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1– 1405 هـ

28. التويجري، صالح عبد العزيز، أحكام الأسر في الفقه الإسلامي والنظام الوضعي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط 1412هـ

29. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1418، 1 هـ

30. الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 03، 1 14 هـ، 1983 م

31. الجزائري، أبو بكر جابر، منهاج المسلم، المنصورة، مكتبة الإيمان، د. ت

32. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، بيروت، دار العلم للملايين، ط 4، 1407 هـ– 1987 م

33. الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية– بيروت، ط 1، 1411، 1990م

34. حسين، سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة،، بيروت، دار الشروق، ط 17، 1412 هـ

35. الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، بيروت، دار المعرفة، ط 1400هـ

36. الخضري، محمد بن عفيفي الباجوري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، دمشق، دار الفيحاء ط 2. 1425 هـ

37. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ط 1407هـ– 1987م

38. الرازي، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 3– 1420 هـ

39. الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ، بيروت، المكتبة العصرية– الدار النموذجية، ط 5، 1420 هـ/ 1999م

40. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، دمشق بيروت، دار القلم، ط 1– 1412 هـ

41. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، دار الهداية، ط 1966م

42. الزحيلي، وهبة، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دمشق، دار الفكر، ط 3، 1491 هـ، 1989م

43. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، ط 2. 1395 هـ- 1975 م

44. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1421هـ/ 2000 م

45. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط 1 1414 هـ

46. الشوكاني، نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، القاهرة، دار الحديث، ط 1، 1413 هـ، 1993 م

47. الصوياني، أبو عمر، محمد بن حمد، السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، مكتبة العبيكان، ط 1 1424هـ- 2004 م

48. الطهطاوي، رفاعة رافع، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، القاهرة، دار الذخائر– القاهرة ط 1- 1419 هـ

49. عرجون، محمد الصادق، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيروت، بيروت، دار القلم، ط 2. 1415هـ- 1995م

50. عياض، أبو الفضل بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، مصر، دار الوفاء، ط 1، 1419 هـ- 1998م

51. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض، دار عالم الكتب، 1423هـ- 2003 م

52. القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، ط 7، 1323 هـ

53. القسطلاني، أحمد بن محمد، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، القاهرة، المكتبة التوفيقية، د ت

54. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1993 م

55. اللحجي، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي، منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم، جدة، دار المنهاج، ط 3، 1426 هـ/ 2005 م

56. المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي، المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، تونس، الدار التونسية للنشر، ط 1، 1988 م

57. الماوردي، أبو الحسن بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1398 هـ، 1978م

58. مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، ط دار إحياء التراث العربي، د ت

59. النجار، محمد الطيب، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، بيروت، لبنان، دار الندوة الجديدة، د ت

60. الندوي، السيد سليمان، الرسالة المحمدية، دمشق، دار ابن كثير، ط 1423 هـ

61. النووي، أبو زكريا يحيي بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط، 1392هـ

62. الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، بيروت، عالم الكتب، د ت.

63. الهيثمي، أبو الحسن نور الدين، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ط: 1414هـ، 1994م